

الآباء والأبناء

إنَّ الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلَّ له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ محمَّداً عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد:

فاتَّقوا الله - عباد الله - حقَّ التَّقوى، فتقوى الله نور في القلب، وبشرى في المنقلب.

أيها المسلمون:

الأعمار تطوى والأيام تبنى، والعبد يعاقب على تفريطه في زمانه، ويثاب على اغتنامه الأيام، وعمارة الأوقات بالطاعة مما يغبن به العباد بعضهم بعضاً، قال عليه الصَّلَاة والسَّلَام: «نعمتان مغبون فيهما - أي: لا يعرف قدرهما - كثير من النَّاس، الصَّحَّة والفراغ» (رواه البخاري).

قال ابن الجوزي - رحمه الله -: «من استعمل فراغه وصحته في طاعة الله فهو المغبوط، ومن استعملهما في معصية الله فهو المغبون». وفي شباب اليوم من يضيع الأوقات في الإجازة ويفرط في الطَّاعات، وعلى الآباء عبء ثقيل في إصلاح أبنائهم وإرشادهم إلى ما يشغلون به فراغهم، فبأيدهم القوامه والرعاية، وعقوق الأبناء آباءهم وضعف تمسكهم بدينهم وانحراف سلوكهم وأخلاقهم من قصور القيام بواجب الولاية عليهم،

وغفلة الأولياء عنهم والتقصير في السؤال عن أحوالهم خلل في التربية، قال ابن القيم - رحمه الله - : «وإذا اعتبرت - أي : تأملت - الفساد في الأولاد رأيت عامته من قبل الآباء» .

والانغماس في لهو الحياة وزخرفها والإعراض عن الأسرة إضاعة للأبناء، وميزان الشرع في ذلك قول النبي ﷺ : «وإنَّ لِنَفْسِكَ حَقًّا وَلَأَهْلِكَ حَقًّا» (رواه البخاري)، وإهمال مراقبتهم وعدم تفقد صحبتهم من نقص النصح لهم.

والمال في أيدي الشباب مع قصور حسن التصرف فيه مفسدة لهم، وإنما ينفق عليهم بقدر حاجتهم من غير تبذير ولا تقتير، ووضع الملهيات في البيوت من القنوات ونحوها لها تأثير على المعتقد الصحيح، وفيها دربة على الجريمة، وتشرب فضلات الانحراف وضرره باد على الأسرة، قال الله سبحانه : ﴿مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ﴾ [النساء: ١٢٣]، وهي من أسباب حيرة عقول الشباب، واضطراب أفكارهم، لما فيها من تناقض وتضارب في الأقوال وطرحها لمسلمات من أحكام الشريعة، وجعلها أداة للجدل والآراء البشرية، مما لا يتفق مع ما يجب على كل مسلم من التسليم والقبول لنصوص الوحي وأحكام الشريعة.

والفتن في البيوت داء من استشرف إليها أخذته، ودواء الفتن نبذها والإعراض عنها، والحذر من مغبتها، وقرب الوالدين من أبنائهم ملء لفراغ قلوبهم ومنع لهم من قراء السوء، وفي الأولياء من هو معرض عن أبنائه، بمنأى عنهم بروحه وجسده، متوان عن أسباب هدايتهم، وواجب على الأب أن يكون قدوة صالحة لأبنائه بالتمسك بالدين، والبعد عن الخطايا والسيئات. والتوجيه السوي المصحوب بالرّفق خير معين على استقامتهم مع الصبر والرّفق واللين معهم، وإذا لم يتسع الصدر عليهم تلقفهم أهل الانحراف والشُرور.

والزّواج المبكّر من أعظم أسباب صلاح الأبناء والفتيات عملاً بوصية

النَّبِيِّ ﷺ: «يا معشر الشباب، من استطاع منكم الباءة فليتزوج، فإنه أغضّ للبصر وأحصن للفرج» (متفق عليه).

وتأخير الزّواج يوقع الشّباب والفتيات في أمور تسوء العاقبة فيها، والإخلاص في تربية الأولاد وتوجيههم عبادة عظيمة يؤجر عليها الوالدان، وهي من أعمال أهل الجنّة قال عليه الصّلاة والسّلام: «من عال جاريتين حتى تبلغا - أي: قام عليهما بالمؤنة والتربية - جاء يوم القيامة أنا وهو، وضمّ أصابعه» (رواه مسلم)، وللترمذي «دخلت أنا وهو الجنّة كهاتين، وأشار بأصبعيه».

ودعاء مستجاب ممنوح من الكريم سبحانه للوالد في دعائه لأبنائه، قال عليه الصّلاة والسّلام: «ثلاث دعوات يستجاب لهم لا شك فيهم، دعوة المظلوم، ودعوة المسافر، ودعوة الوالد لولده» (رواه ابن ماجه).

وتسر الأفتدة بحسن العاقبة في جني ثمار صلاحهم، قال سبحانه: ﴿أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنِّي بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًا وَاحِدًا﴾ [البقرة: 133].

أيها الشاب:

سنّ الشّباب من النّعم التي لا تدوم، قال عليه الصّلاة والسّلام: «اغتنم خمسا قبل خمس، شبابك قبل هرمك، وصحتك قبل سقمك، وغناك قبل فقرك، وفراغك قبل شغلك، وحياتك قبل موتك» (رواه الحاكم).

والشابّ يحاسب على إهمال فتوته وتقصيره فيها، يقول النّبِي ﷺ: «لا تزول قدم ابن آدم يوم القيامة من عند ربّه حتى يسأل عن خمس: عن عمره فيم أفناه، وعن شبابه فيم أبلاه، وماله من أين اكتسبه، وفيم أنفقه، وماذا عمل فيما علم» (رواه الترمذي).

ومن حفظ شبابه بالطّاعة أظله الله تحت ظلّ عرشه، قال عليه الصّلاة

والسَّلام : «سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظلَّ إلا ظله - وذكر منهم - شابٌّ نشأ في عبادة الله» (رواه البخاري)، ومن ملك هواه في حال شببيته أعزه الله في كهولته.

وفي سلف الأمة من اغتتم شبابه فنشأ على الطاعة والعبادة والعلم. فابن عباس رضي الله عنهما يتهجّد الليل وهو ابن عشر سنوات، قال: «صلّيت مع النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله فقممت إلى جنبه عن يساره فأخذني فأقامني عن يمينه، قال ابن عباس: وأنا يومئذٍ ابن عشر سنين» (رواه أحمد)، وصنف الإمام البخاري كتابَ التاريخ الكبير وعمره ثمانية عشر عاماً، قال: «صنفته إذ ذاك في الليالي المقمرة»، والذهبي قرأ القرآن على مسعود الصَّالحي أربعين ختمة، وعبدالمملك بن عمر بن عبد العزيز توفّي وهو في التاسعة عشرة من عمره، وكان في شبابه مجتهداً في العبادة، ومع قدرته في الدنيا وتمكنه منها كان راغباً عنها مقبلاً على الله، قال ابن رجب - رحمه الله -: «ففي ذكر مثل أخبار هذا السيّد الجليل مع سنّه، توبيخ لمن جاوز سنّه وهو بطل، ولمن كان بعيداً عن أسباب الدنيا وهو إليها ميال».

فاغتتم زهرة العمر وجانب قرناء السوء، ففي صحبتهم ندامة، يقول عز وجل : ﴿وَيَوْمَ يَعْصُ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَلَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَيْلًا ﴿٢٧﴾ يُؤْتِنَنِي لَيْتَنِي لِمَ اتَّخَذْتُ فُلَانًا خَلِيلًا﴾ [الفرقان: ٢٧، ٢٨].

والمرأة فتنة فاجتنب فتنتها، وكن بمعزل عنها، وإيّاك والحديث مع من لا تحل لك، فالحرام متعته زائلة ثم تعقبه حسرة، ومن أتبع هواه كانت نهايته الذل والصغار والبلاء، وللطاعة لذّة وسرور، وبرُّ الوالدين من أسباب السعادة، والصَّلاة مع جماعة المسلمين عصمة من الشُّرور.

أيتها الأم:

الأم يترعرع في أحضانها العظماء، والنبلاء في الأمة ثمرة حسن الرعاية والتوجيه من أمهاتهم، يقول الشافعي - رحمه الله -: «نشأت يتيماً

وأنا بالشَّام، فجهَّزني أُمِّي للسَّفَرِ إلى مكة لطلب العلم وأنا ابن عشر سنين، ولم يكن عندها ما تعطيني ما أشتري به القراطيس، فكنت أنظر إلى العَظْمِ فأخذه فأكتُبُ فيه»، ويقول الإمام مالك - رحمه الله - : «ألبستني أُمِّي وأنا صبيُّ لباس العلم، ثم قالت : اذهب إلى الإمام ربيعة فتعلَّم من أدبه قبل علمه»، فالأم تشاطر زوجها أمانة إصلاح أبنائهم وإبعاد الشُّرور وأسباب الفتن من دورهم، يقول النَّبِيُّ ﷺ : «والمرأة راعية في بيت زوجها ومسؤولة عن رعيتها» (متفق عليه)،

فعليها أن لا تهمل أمانتها بتغليب جانب راحة أبنائها ورحمتهم على توجيههم، وأمرهم بأوامر الشريعة.

أيتها الفتاة :

الحياء نعتُ جمالٍ في المرأة، والأُمُّ تمدح باتصاف نساءها بالحياء، قال سبحانه في قصة موسى : ﴿فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ﴾ [القَصص: ٢٥]، والمرأة ذات الحياء المانع حياؤها على ترك القبيح موعودة بالجنة، قال عليه الصَّلَاة والسَّلَام : «الحياء من الإيمان، والإيمان في الجنة» (رواه الترمذي وقال حديث حسن صحيح)، قال أهل العلم : «ومن لم يستح من الله من معصيته، لم يستح الله من عقوبته».

والحياء يسان بالقرار في البيوت، وبملازمة الحجاب والستر والاحتراز من الحديث مع الرجال الأجانب، والحذر من سموم الفضائيات، فالمعاصي تذهب السعادة، يقول عمر بن الخطاب رضي الله عنه : «النساء عورة فاستروها بالبيوت»، وفي المجتمع نساء صالحات حافظات للغيب، ملازمات لكتاب الله العظيم، مستمسكات بالحجاب والحياء، ملازمات للدين بمثلهن يفخر المجتمع.

أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قُوًا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ
عَلَيْهَا مَلَكِيَةٌ غُلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾
[التحریم: ٦].

بارك الله لي ولكم في القرآن الكريم...

الخطبة الثانية

الحمد لله على إحسانه، والشُّكر له على توفيقه وامتنانه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له تعظيماً لشأنه، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه.

أيها المسلمون :

الأسرة تسعد بطاعة الله ورسوله، وصلاح أفرادها صلاح للمجتمع، وفي البعد عن الفتن سلامة الدين، والتفقه وسؤال أهل العلم وبذل الأسباب بالحكمة من أهم أسباب صلاح المجتمع وسعادة أفراده. ثم اعلّموا أن الله أمركم بالصلاة والسلام على نبيه . . .